الحلقة (٣٩)

◄**علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية:**

أنواع التوحيد متلازمة ومرتبطة بعضها ببعض

١- **فتوحيد الربوبية** مستلزم **لتوحيد الألوهية**، بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية، فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره قد دعاه هذا الخالق إلى عبادته وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له، فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لزم إفراده بالعبادة.

٢- **أن توحيد الألوهية** متضمن **التوحيد الربوبية** بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمنا في توحيد الألوهية، فمن عبد الله وحده لا شريك له فلابد أن يكون معتقدا أن الله ربه وخالقه ورازقه، إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر وله الخلق والأمر

٣- **توحيد الربوبية عمل قلبي** لا يتعد القلب، لهذا سمي توحيد المعرفة والإثبات أو التوحيد العلمي، **أما توحيد الألوهية فهو عمل قلبي وبدني** فلا يكفي فيه عمل القلب بل يتعداه إلى السلوك والعمل لله قصدا له وحده.

٤-**أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده** لأنه مركوز في الفطر، فلو كان كافيا لما احتاج الناس إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب، فلا يكفي أن يقرّ الإنسان بما يستحقه الرب من الصفات وأنه الرب الخالق وحده، **ولا يكون موحدا إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله هو المألوه المعبود وحده ويعبده بمقتضى هذه المعرفة.**

٥- **توحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل** وهو الذي حصل به النزع بين الرسل وأممهم، كما قال قوم هود لهود عليه السلام عندما قال لهم **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ}** قالوا **{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}**، وكما قال كفار قريش عندما أمروا بإفراد العبادة لله وحد **{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَاب}.**

أما توحيد الربوبية فلم ينكروه، بل إبليس لم ينكره، قال **{رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي}** فهو أقر بتوحيد الربوبية ولكنه أخل بتوحيد العبادة وطاعته والتسليم له.

٦- **أن توحيد الربوبية والألوهية إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا،** معنى ذلك أنه إذا ذكرا جميعا فلكل لفظ ما يراد به، كما في قوله تعالى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ *مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ} فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى الإله المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهذا هو توحيد الألوهية، وتارة يذكر أحدهما مفردا عن الآخر فيجتمعان في المعنى، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ ومعناها من إلهك، وكما في قوله تعالى {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} وقوله {أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا} وقوله عن إبراهيم عليه السلام {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} وكما في قوله {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}.

٧- **لابد لسلامة التوحيد والفوز بالدارين من تحقيق هذين الأمرين.**

➔ **مسألة: ما ضد توحيد الإلوهية:**

ضده **الشرك** الذي يذهب بالتوحيد بالكلية فمن أشرك حبط عمله، **والبدع** الذي يذهب بكماله الواجب، **والمعاصي** تقدح فيه وتنقص ثوابه.

❁ توحيد الأسماء والصفات ❁

فالعلم بأسماء الله وصفاته أشرف ما اكتسبته القلوب، وأزكى ما أدركته العقول، فهو زبدة الرسالة الإلهية، وطريقة معرفة الله وعبادته وحده لا شريك له.

فتوحيد الأسماء والصفات: التعريف الأول: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله، من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى،]هذا التعريف ذكره الشيخ حافظ حكمي في أعلام السنة المنشورة].

التعريف الثاني: هو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلال والجمال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله، من الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة.

التعريف الثالث: تعريف ابن سعدي عرفه بتعريف جامع هو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجلال والجمال، التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله، من جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى و معانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة، على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف، ونفي ما نفى بها عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من النقائص والعيوب، ومن كل ما ينافي كمالها، ذكر ذلك في القول السديد في مقاصد التوحيد.

❖ **أهمية توحيد الأسماء والصفات:**

١- أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله عز وجل، إذ لا يستقيم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بأسمائه وصفاته.

٢- أن **معرفة** توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح **عبادة لله**، فالله أمرنا بذلك وطاعته واجبة.

٣- الإيمان به كما آمن السلف الصالح طريق سلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل والتمثيل وغيرهم من انحراف في هذا الباب.

٤- أن الإيمان به على وجه الحقيقة سلامة من وعيد الله قال تعالى {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون}.

٥-أن هذا العلم من أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب وأشرف المواهب.

٦- أن أعظم آية في القرآن آية الكرسي وإنما كانت أعظم آية لاشتمالها هذا النوع في التوحيد.

٧- أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لأنها أُخلصت في وصف الله عز وجل.

٨- أن الإيمان به يثمر ثمرات عظيمة و عبوديات متنوعة ويتبين لنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

❖ ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات:

١- **العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله،** فالله خالق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضيعه إهمال لما خلق له، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة أن يكون جاهلا بربه معرضا عن معرفته، وإذا شاء العباد معرفة ربهم فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفة له، المصرحة بأفعاله وأسمائه، كما في آية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الصمد وغيرها من السور.

٢- **أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العباد** ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه بمعانيها وأحكامها ومقتضياتها.

٣- **تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية لله الواحد الأحد،** وهذه الثمرة من أجل الثمرات التي تحصل بمعرفة أسماء الله وصفاته، فالشريعة تهدف إلى إصلاح الإنسان وطريق الصلاح هو إقامة العبد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلم بأسماء الله وصفاته يعصم بإذن الله من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته الله وصفاته واستحضر معانيها أثر ذلك فيه أيما تأثير، وامتلأ قلبه بأجل المعارف والألطاف، فمثلا من صفات الله العَظَمَة ومن أسمائه العظيم يملأ القلب تعظيما وإجلال لله، وأسماء الجمال والجلال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ قلب العبد محبة له وشوقا إليه ورغبة بما عنده، وأسماء العزة والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعا وخشوعا وانكسارا بين يديه عز وجل، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات في الجلوات والخلوات وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديئة والإرادات الفاسدة، وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتخار واضطرارا والتفاتاً إليه في كل وقت.

٤-**الانزجار عن المعاصي** ذلك أن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي فتتذكر أن الله يبصرها ويراها فتذكر وقوفها بين يديها فتنزجر وتجانب المعصية.

٥-**أن النفوس طلعة تتطلع وتتشوق إلى ما في أيدي الآخرين،** فربما وقع فيها شيء من الاعتراض أو

الحسد، فعندما تتذكر أن الله من أسمائه الحكيم، والحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها عند إذن تنقطع عن حسدها وتنفطم عن غيها، وتقنع بما لديه فتعيش سعيدة مرتاحة البال.

٦-**أن العبد يقع في المعصية فتضيق عليه الأرض** بما رحبت، ويأتيه الشيطان فيجعله يسيء الظن بالله، فيتذكر أن من أسمائه الرحيم التواب الغفور فلا يتمادى في خطيئته، بل ينزع عنها ويتوب إلى ربه ويستغفره فإنه سيجده غفورا وإنه غفور تواب رحيم.

٧-**أن العبد تتناوشه المصائب فيلجأ إلى الركن الركين الحصن الحصين**، فيذهب عنه الجزع والهلع فتنفتح له أبواب الأمل.

٨-**أن الإنسان يعيش في جهاد، ومقارعة الأشرار وأعداء دين الله من الكفار والفجار**، فيجدّون في عداوته وإيذائه ويمنعون عنه الرزق وقصم عمره، فيعلم أن الأرزاق والأعمار بيد الله وحده، فعلمه بذلك يثمر له الشجاعة وعبودية التوكل على الله في الظاهر والباطن.

٩-**الإنسان تصيبه الأمراض وربما عزّ علاجها** وربما استبد به الألم ودب اليأس إلى قلبه وذهب به كل مذهب، حينئذ يتذكر أن الله هو الشافي، فيرفع يديه يسأله الشفاء فتنفتح له أبواب الأمل، فربما شفاه الله سبحانه وتعالى من مرضه، أو صرف عنه ما هو أعظم، أو عوضه عن ذلك صبرا وثباتا ويقينا هو عند العبد أفضل.

١٠- **أن العلم به تعالى أصل الأشياء كلها** حتى أن العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما علم بصفاته وأفعاله على ما يفعله ويشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والرحمة والحكمة.

١١- **زيادة الإيمان، فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم أبواب زيادة الإيمان** وذلك بما يورثه في قلوب العابدين من المحبة والإنابة والإخبات والتعظيم للباري، قال تعالى {**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**}.

للسلف الصالح وأهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته طريقة معروفة هي طريقة الكتاب والسنة، فأهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي والعمل بها ظاهرا وباطنا في العمل والقول والاعتقاد، فطريقتهم في أسماء الله وصفاته طريقة معروفة:

في الإثبات: يثبتون ما أثبته الله لنفسه في الكتاب أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وفي النفي ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى، إذ أن كل ما نفاه الله عن نفسه فهي صفات نقص تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص كالنوم والموت والعجز ممتنعة عن الله لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفات المنفية، وإثبات كمال ضدها، وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال حتى يكون متضمن لصفة

ثبوتية يحمد عليها كما في قوله تعالى {**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**} وقوله {**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**}.

وقد مضى الكلام على ذلك، قال ابن تيمية "**ينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلا على أن يكون مدحا أوكمال، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال**".

بقي التوقف من طريقة أهل السنة والجماعة فيما لم يرد إثباته، وقد مضى الكلام عليه بالنسبة للفظ الجهة والغايات وتنزيه الله عن الأعضاء والأركان، هذا طريقة أهل السنة والجماعة فيه، التوقف والسؤال والاستفصال عنه لأنه مجمل وقد مضى الكلام عنه.